الفصل التاسع

وسط هذا الخِضمّ من الأحداث في الشأن العام؛ همَّ مجاهد أن يقرأ بيانًا بالبذلة وماكينة الخياطة؛ فبحث في إيصالات الاستلام حتى يأس، ولرداءة الخط لم يقطع بعدم التسجيل، فبعث بالإيصالين براءة للذّمة؛ ودفعًا لِما قد يُتوهم أنه مُستساغًا لديه؛ لبْس فضلة غيره، وحاول استرضاء نفسه فبحث لمدام أُمْنية وزوجها عن عذرٍ؛ فقال لنفسه:

- من دواعي المحبة أن يخص الشَخْص شخصًا بشيئه، لكنَّ خَصّ الشَّخْصِ نفسه بالجديد، ومنحه القديم الذي مَلّه للغير مؤذيًا جدًّا، وآلمه أن السائق بمجرد بدو البذلة له صاح: بذلة مُسْتَعْمَله، فَسأل في نفسه:
- أتَوَهَّم السائق أنه يفكر فيها لنفسه فتقوَّل ليزهده فيها ليمنحها له؟ أم أنَّها كانت بادية القِدم إلى الدرجة التي لم يملك السائق قيها نفسه فبادر بإبداء رأيه؟!

تألمَ، وانْتُقِصَ من رصيد مدام أمنية عنده، وتآزر لإيلامه ردّها للزميلة: لا، هذا أمر منتهٍ، حين اقترحت إمهالهم للتفكير لمّا تقدم لخطبة ابنتها عالية؛ فتمثل قول الأعشى:

أُحْدِثْ لها تُحْدِث لوصلك إنها كُنُدٌّ لِوَصل الزائر المعتاد

وحَضَرَهُ كذلك ذِكْرُ خليلتها ذات السلطان، وحكايتها عن وكيل الوزارة حين زارها، وحزره - على فكر الرئيس في مرؤوسه - أن يحفى

لديها بكرم وافر؛ فعاد خلي البطن إلا من فنجان قهوة! فصرح بغضبه: - فلانة بخيلة ؟؟، فردَّت غاضبة:

- طالْعَة لُه.. كانت خليلتها قد جاهرتها بالمقالة، فسمع ردها الغاضب؛ فرقَّ لها، ووجده يبحث لها عن عذرٍ؛ كان له بذلة اشتراها من السعودية لزفافه في الثمانينات، بذلة راقية جدًا، محبوكة، وأنيقة، وماركة ألمانية شهيرة، أخت البذلة التي تَرَيَّشَ بها عادل إمام في الإعلان عن مسرحية؛ الواد سيد الشَّغال، حثته الزوجة مرارًا على إخراجها لأنها ضاقت، ولم تعد تصلح له، وبدلًا من أن يبادر في إخراجها؛ جدَّ يبحث عمّن يصلح له بنطلونها الذي ضاق جدًا عليه! ووجده إذا همَّ بإخراج شيءٍ، بحث في القديم المرغوب عنه، ولم يعزم مرَةً على إخراج جديدٍ أبدًا! لقد مرَّ كثيرًا بقوله تعالى: "لن تَنَالوا البّرَ حتى تنفقوا مِمَّا تُحِبون".. فكأنه لم يعلم بالآية إلا الآن!.. لمَّا نزلت قال أبو طلحة: يا رسول الله إن ربنا ليسألنا من أموالنا، وإن أحب أموالي إليَّ بِيْرُ حَاء وإنها لصدقة لله، أرجو بها برها وذخرها عنده، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله؟ فقال: بَخٍ بَخٍ؛ ذاك مالٌ رابح؛ وقد سَمِعْتُ، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين فقال: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه.

وكان قد اتصل بزوج مدام أمنية ليطمئن على إصلاح السيارة، وهل عاد بها من الورشة؟ فأجاب:

- نعم وهي معي الآن بمساكن الشناوي.

- أردت الاطمئنان عليكم؛ قال:

- أنتَ أَخٌ فاضِلٌ، نشكرك على هذا الاهتمام، معك فلانة تريد أن تكلمك..

قالت:

- نعتذر أننا أتعبناك، وددنا لو جلسنا معك، وفعلنا بعض الواجب، نشكرك لاهتمامك.

- لم أفعل شيئًا.. فردّت سريعًا:

- يا خبر؟! كل هذا ولم تفعل شيئًا ؟.. طاقم شاي جئنا به كان في السيارة نتركه لحضرتك عند أختي بشقة الوالدة، متى ناسبك حَضَرْتَ فأخذته مشكورًا ؟

- إن شاء الله، أذهب إليهم عند عودتي من العمل، يوم الأحد في الواحدة، وقال:

- سأعطيها إيصالًا بالحاجات التي قمت بتسليمها إلى دار الأيتام.

- يا أستاذ مجاهد، نحن لم نطلب منك ذلك، فأنت لدينا مأمونًا؛ لكن مقبولًا، مادمت تحب ذلك.. قال:

- بعد تسليمي طاقم الشاي، سأتصل لتحديد موعد ذهابي المناسب لإعطائها الإيصال الآخر.. قالت:

- كل وقت مناسب؛ هم موجودون دائمًا؛ وسأتصل أعلمهم بموعد ذهابك كي ينتظرونك.. فظل طاقم " الفيركس" المغلفُ في ورق جرائد، مغبة الكسْر، في فارغة منزلية؛ في حقيبة السيارة؛ من بعد جمعة كشف الحساب، ثم الاستفتاء على الدستور، حتى قرب حلول

الذكرى الثانية لثورة يناير. وذهب، فدق الجرس في رفقٍ، وتقهقر عن الباب إلى جانب، فاستجاب له على الفور صوت نسائي يسأل:

- من ؟!.. قال:

- الشيخ مُجاهد.

- دقيقة واحدة؟ فلم تلبثْ صاحبة الصوت أن فُتحَت الباب، وأطلت في خمارٍ ارتدته سريعًا على ثوب منزلي؛ انحسر عن ساعدها لمّا انحنت تدفع دلوٍ منزلي خارج الباب، فبدا ساعدها، فَعَلِمَ أنّها تخمرت فوق ثوبها المنزلي في عُجالة، فمد يده ليحمله عنها، فاعتذرت كذلك:

- ليس الزوج هنا، لو كان هنا؛ لنزل السُّلم يحمله عنك.. فطمأنها مُمْتنًا:

- ليس ثقيلًا، هذان إيصالان يفيدان تسليم الأشياء السابقة، برجاء إرسالها لـ مدام أمنية ؟.. وقال وهو يهم بالانصراف:

- أتأمرين بشيءٍ ؟.. فأجابت في فرط مودة:

- لا أمّرَ الله عليك ظالم؟.. فاتصل بمدام أمنية مَرِحًا يحدثها:

- ذهبت إلى الأخت، وأخذتُ الأشياء، نفس الصوت! ونفس الإجابات! ولولا معرفتي بسفركم لقلت إنها أنت، سلمتها إيصالين لأشياء سابقة.

- مادام هذا يرضيك؛ سترسلهما إلينا.. فاستطرد:

- بعد تسليمي طاقم الشاي؛ سأتصل لأعلم بذهابي لتسليمهم الإيصال.. وقال:

- أرجو فسحة من الوقت؟ قد لا أتمكن من الذهاب قريبًا، فعندي درس طوال هذا الأسبوع.. الكل يترقب ما يحدث يوم الجمعة؛ ذكرى ٢٥ يناير.. فأنبأت:

- همّ ما صدقوا؛ لن يتركوها بسهولة.. قال:

- لا يستطيعون أن يقفوا ضد إرادة شعب؛ سيرحلون رغم أنفهم، وقريبًا، إن شاء الله.

- أتعتقد ذلك؟.. فأكد:

- نعم.. قالت:

- ظننتك انتخبت مرسي.

- لا، انتخبت شفيق لأن أمره هين، وكنت أحذر من الإخوان، لأني أعرفهم لا يؤمنون بوطن ويَسْتَخِفُّون بالناس، والذي يحكم هو مكتب الإرشاد؛ مجموعة العجزة، كبار السن الذين هم بالمقطم على رأي/ "إبراهيم عيسى" وليس مرسي إلا طرطورًا؛ ففرحت بتطابق الرّؤية.

- أتشاهد القاهرة والناس ؟

- نعم، وأشاهد وائل الأبرشي؛ ولميس الحديدي، وأعتبر إبراهيم عيسى هذا بطلًا؛ ماضٍ يشحذ الناس للنزول في ٢٥ يناير في بيانٍ وتحليلٍ رائع؛ يعرض للحقيقة.. فسألها:

- أتنزلون في ٢٥ يناير؟

- لا، آخرنا إبداء الرأي، والنزول للانتخابات؛ فحدثها:

- وددت لو نَزِلْتُ للتظاهر؛ لكنّي صاحب لِحْيةٍ ولستُ مشهورًا، وقد يحسبونني منهم.. وقال:

- سلمي على الزوج؟

- الزوج ليس هنا، لو كان هنا لكلمك، سلم على الزوجة؟

- الزوجة في الحضانة.. لو كانت هنا لكلمتكِ.. قالت:

- أحيانًا كثيرة أود الاتصال، فيمنعني الحرج، وخشية الإزعاج؟

- لا إزعاج، ولا حرج؛ الكلُّ يتصل، اتصلي من التاسعة مساءً إلى الحادية عشر؛ هذا الوقت أرد على التليفون وأجلس لأتابع الأحداث!

* * *

هللت جريدة المصري اليوم.. الثورة تدخل جولة الإعادة..الجماهير في شوارع مصر: يسقط حكم المرشد.. اشتباكات دامية بين الأمن والمتظاهرين، والجيش يطوق مداخل المدن.. أنباء عن سقوط شهيدين بالإسكندرية.. وحصار ماسبيرو، ودواوين المحافظات..الإسلاميون يحذرون من الانقلاب على الشرعية. ثورة في كل شوارع مصر؛ جريدة اليوم السابع؛ ميادين التحرير ساحات للغضب والدم..اشتباكات بين الشرطة والمتظاهرين في التحرير، والسويس، والإسكندرية، واقتحام محطة منوف، ووقف القطارات، واحتراق٥ طوابق بهيئة السكك الحديدية، وحرائق بالمجمع العلمي، وجراج السفارة الأمريكية، مسيرات من مساجد، وميادين القاهرة، والمحافظات، وهتافات ضد المرشد والرئيس وعودة شعار " الشعب يريد إسقاط النظام " .. ومظاهرات في محيط منزل الرئيس بالزقازيق.. وثوار دمياط يطالبون بحل جماعة الإخوان.. صَبَّاحي والبرادعي على رأس مظاهرة محمد محمود.. القاهرة تشتعل بالمظاهرات، والرئاسة والحكومة صامتة..

الشيخ القرضاوي في خطبة الجمعة التي ألقاها من الجامع الأزهر: نحتفل في مصر بذكرى حبيبة، هي ذكرى مرور سنتين على الثورة المصرية التي هي نعمة من أعظم نعم الله علينا، ومن يشك في هذا فهو يشك في اليقين.

الشعب للإخوان: أنا المرشد، جريدة الوطن؛ مصر تنتفض تحت شعار ثورة، ثورة حتى النصر..اشتباكات بين الثوار والشرطة في التحرير، والاتحادية تحت الحصار.. حرق مقر حزب الجماعة في الإسماعيلية.. ومواجهات في السويس، والمنوفية، وكفر الشيخ..

صحيفة التحرير: الميادين لمرسي: لست رئيسنا.. صور للميادين الحاشدة بالمتظاهرين في التحرير، الإسكندرية، المحلة، بورسعيد، السويس، دمنهور، قصر العيني، دمياط، الشرقية، الاتحادية.

إبراهيم عيسى: درس الساعات الأولى من أحداث أمس ٢٥/١٢/٢٠١٣ الدرس أن مرسي ليس رئيسًا لكل المصريين؛ بل فشل فشلًا مدويًّا، حتى في أن يظل رئيسًا للواحد والخمسين في المائة الذين انتخبوه، مع انتظارنا للتحقيق في تزوير استمارات التصويت لصالحه في المطابع الأميرية؛ لاحظ، نفس المدن، وذات الأماكن التي سطعت فيها مظاهرات مصر ضد النظام السابق، هي التي تندلع فيها ضد النظام الحالي؛ معناه أن المصريين يستكملون ثورتهم ضد نفس السياسة لنفس النظام، بل الأخطر؛ أن مرسي، وجماعته، وأتباعهم سرقوا كفاح، ونضال، وثورة المصريين، وهذا ما لم يفعله طبعًا النظام السابق، ثم أنهم يتدثرون بالدين، ويكفرون المعارضين؛ ثم إن مرسي، وجماعته، وإخوانه فاشلون عاجزون، بلا كفاءة، ولا مهارة، ولا إدارة، ولا رؤية، ولا قدرة فيدارون ضعفهم بالعنف، ويختبئون وراء أقنعة التدين المغشوش ليطعنوا البلد، ويبيعوها مقابل تمكنهم من الحكم، لن يستمر

مرسي في هذه السياسة؛ الدليل حالة الغضب المنتشرة في كل مكانٍ، ومن كل فئةٍ، وفي كل تيار خصوصًا قوى الشباب المحتج والثائر؛ وليس أمام مرسي إلا أمرين - آسف على حَشْرِ د/ مرسي في الموضوع - ليس أمام جماعة الإخوان إلا أحد أمرين؛ أن تأمر مرسي بالانصياع لإرادة الأمُّة، وإعادة كل قراراته إلى المربع صفر؛ وتشكيل حكومة وحدة وطنية تقود البلاد، تعبيرًا عن توافقٍ، وإسقاط دستور الزيف الذي اغتصبته الجماعة، وأتباعها سَلْقًا، وتزويرًا، وحل مجلس الشورى الباطل، واحترام استقلال القضاء برحيل نائبه الخصوصي، أو أن تأمره الجماعة بأن يتمسك بسياسته، فيصرَّ أن يكون خادمًا لـ شُعَبِ (بِضَمّ الشين) الجماعة، وليس للشعب، ومن ثم لجوء نظامه إلى القمع الأمني للتصدي للمعارضة، وللقوى السياسية، ولجماهير المصريين.. ويبدو أن الأمر الثاني هو الأقرب للجماعة ولمرسي وإخوانه، فهؤلاء الذين كذبوا، ويكذبون، ويحنثون بالقسم، ويخلفون الوعد، ويقولون ما لا يفعلون، ويفجرون حين يخاصمون، ويستبيحون الخَطْفَ، والتعذيب، والقتل لمخالفيهم؛ لا أمل فيهم ولا منهم، والثابت أننا في معركة طويلة سيخسرها مرسي دون ذرة شك، لكن مصر ستخسر معه كثيرًا.

فتداخل مجاهد يذكّره بمقولته الشهيرة؛ يُسْمِعُ زوجته:

- يا إبراهيم؛ يكذبون كما يتنفسون.. وقال لزوجته:

- ظللت حيرانًا أفكر في قوله تعالى "وَعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض".. وأقول لنفسي لا يمكن أن يكون هؤلاء

قد استخلفوا، وهم قد ملئوا الدنيا أكاذيب وقتلًا، قلت: هذا استدراج. وأعتقد أن المجلس العسكري سلمهم مَصْرَ؛ فسلمهم الله للمصريين، وهو ما لم يفطن له مبارك؛ ظل يردهم عن الحكم؛ فقاموا يستعطفون الناس بشعار: الإسلام هو الحل..انظري إلى هذا القرضاوي؟ بلغ ضلالة أن يقول للناس في خطبته في الجامع الأزهر:

- الثورة المصرية نعمة من أعظم نعم الله علينا، ومن يشك في هذا فهو يشك في اليقين.. واليقين في الآية: العِلْم وزوال الشَّك في المَوْت المُتَيَقَّنِ وُقُوعُهُ.. فانظري إلى هذا الكذب ؟ هو لا يخفى عليه أن الإمام النووي قال في شرح مسلم في معنى قوله صلى الله عليه وسلم:(على المرْءِ المسلم السّمْعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكَرِه إلا أن يُؤْمرَ بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمعَ ولا طاعة) السمع والطاعة، وإن اخْتُص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم؛ وسَببُ الطاعة التي أمر بها النبي اجتماع كلمة المسلمين، فإن في الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم؛ هذا ما تحقق من الخروج على مبارك حتى الآن، والثاني؛ داعية المنصورة الشهير الذي كان يقول بذلك قبل تنحي مبارك، ثمَّ ركب الموجة ليتصدر المشهد؛ كعهده أن يتصدره دائمًا.. واستطْردَ يحدثها:

- جمهور أهل السنة من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين عندهم؛ لا ينعزل الإمام بالفسق، والظلم، وتعطيل الحقوق؛ ولا يُخْلَع ولا يجوز الخُروجُ عليه بذلك!.. بل يجب وعظه، وتخويفه لهذا الحديث

وأحاديث أخرى؛ ومن قال بالجواز قال لقيام الحسن، وابن الزبير، وأهل المدينة على بني أمية، وقيام جماعة عظيمة من التابعين على "الحجاج" وتأولوا قوله - صلى الله عليه وسلم - (ألا ننازع الأمر أهله) في أئمة العدل؛ وحُجَّةُ الجمهورِ؛ أن قيام هؤلاء على الحجاج ليس لمجرد الفسق؛ بل لما غَيَّرَ من الشريعة؛ وظاهر من الكفر، وقال القاضي؛ هذا الخلاف كان أولًا، ثم حصل الإجماع على منعِ الخروج عليهم.. هذا؛ رغم أن مبارك أعلن أنه بعد ستة أشهر لن يترشح ويسلم البلاد منعًا للفوضى، والتنازع، والاختلاف، إلا أن هؤلاء انتهزوا الفرصة وملؤوا الدنيا كذبًة أنه يَتَمَسْكَنَ ليَتَمَكَّنَ.. قالت:

- لا أفهم كثيرًا مما تقول.. فضحك يشاكسها:

- ليس مهمًا، وتابع:

- حين بدأت الدعوات إلى المشاركة في فعاليات ٢٥ يناير ٢٠١١ كان قرار جماعة الإخوان عدم المشاركة، وفَصَلَت من نزل الميدان بدعوى خروجهم على تعاليم الجماعة، فذهب المفصولون إلى المفصول الأسبق "أبي الفتوح" فأسس بهم حزب مصر القوية.. قالت:

- أنا أقول حزب مصر الطرية، وضحكت، أنا لا أرتاح له؛ يُظْهِرُ أنه ليس منهم، وعند نزول الناس ضد الإخوان يختفي ويصمت، ولا أحسُّ أنَّه غَيرُهُم.. فأكد لها:

- كلهم مسخٌ؛ عجينة واحدة.. أحد الجهاديين يصفهم: يعبدون الجماعة أكثر من عبادة الله؛ عندهم حسن البنَّا، ورسائله مُعَظَّمة عن كلام النبي، وهذا البذيء اللسان، إذا تحدث عن مبارك يقول المخلوع، رغم أن مبارك تنحي؛ يكذب كما يكذبون.

- خلع اللهُ رقبته؟ وغضبت وكانت لم تزل تتعاطف مع مبارك. قال:

- أعتقد؛ أن أسوأ ما فعله مبارك هو القضاء على الكفاءات التي كان يمكن أن تصلح لقيادة البلاد، ليظل الزعيم الذي لم تلد مصر غيره ليبقَى آمنًا، وسعيه للتوريث الذي عجَّل بنهايته؛ مؤسس حركة " أزهريون مع الدولة المدنية " قال في ميدان التحرير في خطبة الجمعة:

- أن اجتماع المتظاهرين جاء اعتراضًا على عدم اكتمال الثورة، وتحقيق أهدافها في التغيير، والحرية، والكرامة الإنسانية، والمطالبة بإسقاط النظام، وأن الشعب مازال يُقْتَلُ ويُنْهَبُ، ودعا المتظاهرين إلى ثورة اجتماعية لأن لصوص الثورة الذين تستّروا بشعارات الدين، واستخدموها لخداع الشعب. ووصف مرسي بالصهيوني؛ لأنه

أرسل برقية لرئيس إسرائيل " عزيزي بيريز، أتمنى الرَّغْدَ لإسرائيل".. وعدل يحكي لها محزونًا:

- الكل يتجاوز؛ فمرسي وإن كذب، أو تواطأ على قتل، أو نكث الأيْمان، لا يمكن وصفه بالصهيوني. فسألت:

- أليس هم من كانوا يهتفون: يا مبارك يا جبان يا عميل الأمريكان.. فبان أنهم هم عملاء الأمريكان. قال:

- هم يعتقدون أنهم يخدعون الصهاينة، ويخدعون الأمريكان، حتى يحققون حلم أستاذيتهم للعالم، وبنو إسرائيل دَوّخوا أنبياءهم، والأمريكان لهم مشروعهم الشرق الأوسط الكبير يستخدمونهم لتحقيق هذا الغرض؛ وهاجم مؤسس حركة "السلفيين" أنهم أتباع محمد بن عبد الوهاب الذي حارب الحرمين. فسألته عنه ؟ قال:

- يعتبره السعوديون والسلفيون من الأعلام المجددين وشيوخ الإسلام، وصاحب ثورة حديثة على الباطل أعادت للإسلام مجده كالإمام أحمد وابن تيمية؛ واعتبره الشيخ أبو زهرة: منشئ الوهَّابية؛ دَرَسَ مؤلفات ابن تيمية، وتعمق فيها، وأخرجها من حيز النظر إلى حيز العمل؛ لم يقتصر على الدعوة المجردة بل عَمَدَ إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين باعتبار أنه يحارب البدع؛ خرجت دعوته من بلدة حريملاء لوجود والده فيها، ولما كانت الظروف غير مواتية ترك هذه البلدة

بحثًا عن غيرها؛ فاتجه إلى العيينة؛ واتصل بأميرها عثمان بن معمر فساعده، وبدأ بتنفيذ الأحكام الشرعية، فهدم الأضرحة، ورجم في الزنا، وتعلق بأمور صغيرة ليس فيها وثنية أعلنوا استنكارها مثل التصوير الفوتوغرافي؛ وتوسعوا في معنى البدعة حتى أنهم يزعمون أن وضع الستائر على الجدران أمر بدعي، أدهشها؛ ولم تكن قد سمعت بمحمد بن عبد الوهاب ولا بابن تيمية! ولا بأبي زهرة!.. قالت:

- أنت مُصيبة !! وضحكت بإعجاب.. قال:

- اقرئي كثيرًا، وتَحَرّي باستعْمالِ غالبِ الظَّنِّ، واستمعي للمخالف قبل الموافق، وتحققي في العلم، واسألي الله أن يهديك لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنه، واستفتي قلبك. قالت:

- ولمَ أتْعِب نفسي بالمُتعبين؟!.. وضحكت؛ تعنيه منهم !

* * *